

## اشكالية العلاقة بين السلطة والفرد في المجتمع العربي

(٢-١)

**توضيح**

من التعريفات غير الشائعة لعلم النفس أنه علم دراسة علاقات الفرد بالموضوعات، كما تحدثت في الواقع. ويعني هذا أن الخبرة الخاصة بالموضوع تعمل على تحديد البنية السايكولوجية للفرد.

والبحث معني هنا بتأثير علاقة ثلاثة مصادر أساسية للسلطة في بناء شخصية الفرد وضبط سلوكه، هي:

١- الأسرة
٢- المدرسة (النظام التربوي)
٣- مؤسسات الحكم أو الدولة
وبما أن الموضوع يتناول في احد محاوره (السلطة) فإن ما يرد في هذه الورقة ليس بحثاً في السباسبه بل تحليل لطبيعة العلاقة بين الفرد والسلطة من منظور نفسي خالص ، يتعامل معها (السلطة) بوصفها احد مصادر بناء شخصية الفرد وتشكيل سلوكه، مثلما هو الحال مع (الأسرة والمدرسة) في هذا الشأن وربما يكون هذا التحليل قريبا من علم النفس السياسي الذي صار حديثاً فرعاً من فروع علم النفس، بالرغم من أن اول كتاب في هذا الميدان كان قد ظهر عام ١٩٢١ عندما اصدر جراهام ولاس مؤلفه المعروف (الطبيعة الانسانية في مجال السياسة، غير المنحى هنا مختلف تماما. فمعظم الدراسات في علم النفس السياسي ركزت على القادة والزعماء السياسيين من حيث دوافعهم وميولهم، كل حسب منطلقاته النظرية. فجرا هام ولاس، مثلاً، كان قد فسر النشاط السياسي للزعماء على اساس الأفكار التي سادت في عصره قبل أكثر من ثمانين سنة، مستنداً في ذلك إلى آراء دارون، الذي يرى أن سلوك الإنسان تتحكم فيه الغرائز والانتخاب الطبيعي. فيما سادت بعد ذلك - وما تزال - نظريات فرويد، الذي فسر السياسة من خلال شخصيات القادة والزعماء في كتابيه (مستقبل وهم) و (الحضارة ومنغصاتها).

وما سيرد في هذه الورقة ليس له علاقة بدراسة تحليلية إنما هو معني تحديداً بدراسة العلاقة بين متغيرين أحدهما (الفرد) والآخر (السلطة) إلى جانب المصادر (والمدرسة) بوصفها مصادر بناء شخصية الفرد العربي وضبط سلوكه.

ويهدف البحث إلى معرفة تأثير كل من أساليب التنشئة في الأسر العربية وطبيعة النظام التربوي في المجتمعات العربية ومؤسسات

الحكم أو الدولة في بناء شخصية الفرد العربي وتشكيل سلوكه. ويتحدد بنتائج الدراسات النفسية والاجتماعية، النظرية والميدانية، التي أجريت في عدد من المجتمعات العربية بخصوص (الأسرة) و(المدرسة) ومؤسسات الحكم أو (السلطة) بوصفها مصادر لبناء شخصية الفرد وضبط سلوكه.

### مصادر بناء الشخصية وتشكيل السلوك

تتعدد مصادر بناء الإنسان وضبط سلوكه، بدءاً من الأسرة وانتهاءً بأحد ما توصلت اليه التكنولوجيا في وسائل الاتصال، ومنها (الانترنت) وتعد (الأسرة) و(المدرسة) و(مؤسسات الحكم) أو / الأسرة

يخلص من يستعرض الدراسات النفسية والاجتماعية في هذا الميدان إلى نتائج (مخيفة) في مقدمتها أن الأسرة العربية متهمه بأن أساليب تنشئتها للطفل العربي تقوم على (العقاب الجسدي والتزهيب والتهديد والقمع السلطوي، وأنها تركز على مبدأ الحماية والطاعة والامتثال والخوف من الأخطار) (بركات، ١٩٨٤، ص١٩٠) وأن الطفل العربي يعيش، على ما يرى مصطفى حجازي (في عالم من العنف المفروض داخل الأسرة، الذي يجسد إلى حد كبير احتياط السلطة الأبوية) حجازي، ١٩٨٩، ص٨٢) ويعدم رايه باحثان بقولهما (ان الأسرة العربية تعاني من السلطة الأبوية الصارمة، وهي سلطة تتمثل في قهر الأبناء، وواد حرية الرأى) (كامل والخلي، ص٤٢٥) وترى باحثتان من قطر عربي آخر أن الهدف الرئيس للتنشئة الاجتماعية في المجتمعات العربية يتمثل في (خلق الذات الوصلية التي يؤدي تحقيقها إلى تعزيز علاقات السلطة الأبوية، لأن الذات الوصلية تتميز بقابليتها للضبط أكثر من الآخرين)

(التركي وزريق، ١٩٩٥، ص٨١) ويخلص وطفة إلى أن الأبناء في إطار الأسر العربية المتسلطة يستخدمون القمع النفسي، بالازدراء والاحتقار والسخرية والتهمك وتوجيه الألفاظ النابية.. وكذلك القمع الجسدي بالضرب والحرمان والسجن والمغ (وظفة، ٢٠٠٠، ص٢٨). وفي المعنى نفسه أشار باحث آخر إلى أن التنشئة العربية تنمي في

الطفل الإذعان للسلطة والخوف منها.. ويضيف بأن الأسرة العربية تعتمد أساليب التخجيل والتهمك والازدراء والتخبيس، وخلق الإحساس بالدونية، تؤدي إلى مشاعر الدونية وعقد النقص والقصور والشعور بالذنب (شرابي، ١٩٩١، ص٢٦) ويصنف علي زيغور البعد السلطوي في الثقافة العربية السائدة قائلاً: (تلجأ الأم العربية إلى التخويف بالآب والحيوانات والجن كي ينام الطفل أو يطيع أو يهدأ، ومن ثم ينتقل التخويف إلى التهديد بالضرب... وأن العصا والحيوان والشيطان أدوات قمع للطفل ومثيرات للربع تؤدي في النهاية إلى قتل روح النقد والإبداع واغتيال روح الحرية في نفوس الناشئة) (زيغور، ١٩٨٧، ص٥٦).

وفي بحث حول تأثير وسائل تربية الطفل في العائلة الرجوزاية الحضرية، يرى شرابي أن الأب يضطهد الصبي فيما تسحق الأم شخصيته عن طريق الاحتفاظ في حمايته. أما البنت فتتفهد العائلة منذ طفولتها المبكرة إلى الشعور بأنها عبء وغير مرغوب فيها. وأن هذا الإفراط في الحماية وهذه السلطوية في العقاب يؤديان إلى شعور الأبناء بالعجز، والانتكالية، والتهرب من المسؤولية. وأنه، خلافاً لما يعتقدته الكثيرون، فإن نظام العائلة عندا - على ما فيه من حسات كحزام الكبار وحماية افراد العائلة بعضهم بعضاً في الملمات - يقوم التناذب والخلاف أكثر مما يقوم على التساوت والوئام، وأن العلة والحسد يسودان علاقات افراد العائلة أكثر مما تسودها المحبة والتسامح. وأن اولادنا يتعلمون منذ الصغر كيف يجري اغتيال الأصدقاء والأقرباء، وكيف يجهر الإنسان بما لا يضمره، ومن أين تؤكل الكتف. وإنهم في تنافسهم على محبة الأم وعطفها يتعلمون بشكل تلقائي كراهية الأشفاء واعتبارهم منافسين ومنافسات يجب التحسب لهم (شرابي، ١٩٩١، ص١٨-١١٩).

ويخلص حليم بركات إلى أن علاقة الأسرة بالبنين والبنات تقسم بالحماية المفرطة من ناحية، وبالسلطوية من ناحية أخرى مع بعض التحيز في المعاملة بحسب العمر والجنس واختلاف انماط المييشة، ويستنتج من ذلك بأن الفرد قد يلجأ في محاولة تجاوز عجزه إلى الخضوع أو التهرب بدلاً من التمرد والمواجهة في حل

مشكلاته مع مراكز السلطة في المنزل والمدرسة والجامعة ومؤسسات العمل (بركات، ١٩٩٩).

### تعليل

تعد الأسرة المصدر الأول في بناء شخصية الفرد وتشكيل اساسيات سلوكه وهي التي تتوسط، في هذه المهمة، بين الفرد والمجتمع من جهة، والفرد يعني انها تقوم بأدوار مهمة، وخطيرة وفي مقدمة هذه الأدوار انها تساهم في تحديد معالم صورة المستقبل للوطن والمجتمع. بل هي شريك فاعل في ذلك، من خلال اعدادها لأجيال متعاقبة، يشكلون ما يصطلح على تسميته بالمجتمع، فتسهم بهذا قدر أو ذاك في تحديد مصير المجتمع. فإذا كانت الأسرة صورة مصغرة للمجتمع فإن المجتمع صورة مكبرة للأسرة. وأن ما يحدث من تغيرات في أحدهما يؤدي بالضرورة إلى تغيرات مشابهة في الآخر. لقد قدمت لنا الدراسات النظرية الميدانية صورة سلبية (قائمة) عن واقع أساليب التنشئة في الأسرة العربية المعاصرة. ولنا عليها ثلاث ملاحظات:

الأولى: إنها أغفلت الجوانب الإيجابية في الأسرة العربية. منها ان العلاقة الوشائجية والتضامنية لاتزال موجودة في الأسرة العربية وان التماسك الاسري يؤدي بالضرورة - رأينا - إلى التماسك الاجتماعي. وأن الأسرة العربية لا تزال من بين أكثر المؤسسات الاجتماعية قدرة على الاحتفاظ بمرکزها الذي تتمحور حوله مختلف النشاطات الإنسانية في المجتمع العربي. وقد تبين من دراسات ميدانية أن اغتراب الشباب العربي من أسرته، لا يزال منخفض جداً بالمقارنة مع درجة اغترابه عن الدولة والمجتمع ومؤسسات التربية والعمل وهذا يعني أن الأسرة العربية لاتزال الأكثر قدرة على التماسك بين المؤسسات الاجتماعية الأخرى.

الثانية: إنها (الدراسات) لم تبرز التغيرات التي حصلت على الأسرة العربية، وانعكاسها على أساليب تنشئتها للأطفال. ومنها - مثلاً - ما حصلت عليه المرأة (الأم، الزوجة) من حقوق وامتيازات - وظهور العائلة النووية (الصغيرة) في المجتمع العربي. والثالثة: أن هذه الدراسات مالت إلى التضخيم من حيث تميم

نتائجها السلبية على عموم الأسر في البلدان العربية. على أن هذه الدراسات أشرت مواقع خلل كبيرة وخطيرة في طبيعة العلاقة بين الأسرة والطفل. وأن بقاء اشكالية هذه العلاقة على ما هي عليه، يعني ان القناة الرئيسية المنتجة لوحدات بناء المجتمع (= الأفراد) فيها هشاشة. وأن المادة الاصلفة (=العلاقات) بين هذه الوحدات، ومن المضارقات ان التربية العربية الإسلامية كانت تركز على المناقشة، والمناظرة، والحوار بالأسئلة والأجوبة، لسُخد الذهن وتقوية الحجة، وزيادة الثقة بالنفس، وترقية القدرة على النقد والالاناع والتفكير الحر، وتساعد في فتق الأفكار واكتشاف الأخطاء، والرذ تثير يحذق ومهارة. فيما تشير الدراسات عن الواقع الراهن للتربية العربية إلى انها تقوم على التلقين، وأن عدداً من مناهجها مقسّمس من المناهج الغربية، وأنها تركز على المعرفة بدلاً من الطالب. وأن التقويم فيها يقوم على امتحانات لا تقيس إلا ما استظهره الطلبة من معلومات الكتب، وأنها تجعل الطالب أسيراً للكتّاب المقرر والمدرس الذي يدرسه. فقد أجرى أحد الباحثين دراسة على بعض الكتب المدرسية العربية فاستنتج أن تلك الكتب (لا تحاول أن تقدم في تفسير الأحداث وجهة نظر متعارضة ليلم الطالب بجميع الجوانب، بل تعود على التفسير الواحد والرأي الواحد) (عبد الحي، ١٩٨٥، ص١٧) ويعلق باحث آخر على ذلك بقوله: إن تلقين الطلبة تفسيراً واحداً أو رأياً واحداً وإجباره على تبنيه، بغض النظر عن صحته أحياناً، سمة سلطوية بارزة من سمات عدد من المناهج العربية التي تعود الطالب على الخوع بشكل متوازن ومبدع واستخراج مواهبه وامكانياته (القالا، ١٩٩٢) ويؤيده في ذلك باحث آخر بقوله ان التسلط يمثل إحدى أهم سمات المناهج المدرسية العربية. وأن التخلض منها يقتضي بذل جهود كبيرة لإعادة بناء تلك المناهج من حيث الأهداف والمحتوى وطرائق التدريس والتقويم يجعلها تتمحور كلها حول التعليم وحاجاته وميوله وأغراضه (سورطي، ١٩٩٥).

### ثانياً / المدرسة (النظام التربوي)

تعد المؤسسات التعليمية ثاني أهم مصادر السلطة في بناء وتشير الدراسات في هذا الميدان إلى ان النظم المدرسية العربية (تسعى إلى الضبط الاجتماعي، بدلاً من تكريس الحرية الترتية على المعرفة. وإلى توليد المسائرة على الانصياع لمعاير الجماعة للمحافظة على ما هو قائم) (النقيب، ١٩٩٢، ص٦٨). وأن (الأنظمة التربوية العربية الرسمية تقوم على تكريس علاقات السلطة الخاصة بالنظام الأبوي، وتعمل على إعادة انتاج هذه العلاقات، سواء فيما يخص التعليم أو التشريع. وتشتمل النزعة التسلطية هذه على عمليات نفسية تكملها، وتؤثر في تكوين الذات وتواصلها مع الآخرين، بشكل يساعد على استمرار النظام التربوي. وأن ما يتعرض له الأطفال من قهر وتسلط تربوي يضعهم في دائرة استلاب شاملة تكرس كافة مظاهر القصور والسلبية في الشخصية الإنسانية) (وظفة، ٢٠٠٠، ص٢٥).

ويرى النقيب (أن المدرسة العربية تسعى إلى تلقين الطالب مبدا الطاعة العمياء والحفاظة على قيم ومعايير الجتمع التي تعزز وضعيته الراهنة) (النقيب، ١٩٩٢، ص٦٨). فيما يذهب باحثان آخران إلى أبعد من ذلك فيصفان نظام التعليم العربي بأنه (تقليدي يقوم على سجن عقل التلميذ في حذاء صيني ضيق يمنعه من الانطلاق والانتشار (الشمول) (وعلي المراب، ١٩٩٨، ص١١١). ويذكر مقارب يرى باحث آخر بأن شيوع التلقين (لا يقتصر على ساحة التعليم المدرسي، بل جمود التربية في بعض البلدان

### OPINIONS&IDEAS

## اشكالية العلاقة بين السلطة والفرد في المجتمع العربي

أد قاسم حسين صالح/ رئيس الجمعية النفسية

**العراقية /رئيس رابطة أساتذة جامعة بغداد**

العربية، وسلطويتها اسهما في اضعاف التقدم العلمي والبحث العلمي، وساعدا على عجز كل البلدان عن مجاراة التقدم العلمي والتكنولوجي العالمي، مكتفية باستهلاك منجزاتها، لأن معظم (مسا) في الحياة المدرسية من كتب ومعلمين وامتحانات ومناهج وطرائق تدريس لايزال ينتسب إلى مرحلة اجزار المعرفة وخزنها وتغليب الألفاظ على الأشياء، وتفضيل النظر إلى العمل، وإيثار التقليد على التجديد) (عبد الدائم، ١٩٩١، ص٢٤٨).

وبمعنى مقارب، ولكن بهدف أبعد يرى باحث آخر (أن مناهجها المدرسية والكتب الموضوعة لتدريسها لم تجرؤ حتى الآن على طرح القضايا الاجتماعية الأساسية على الطلبة، قضايا الثروة القومية وتوزيعها واسباب بروز المتناقضات الاجتماعية الحادة في مجتمعاتنا، طرحا علميا، الأمر الذي يضطر الناشئة إلى التماس الأجوبة عن تساؤلاتهم حول تلك القضايا من مصادر خارجية.. وأنه من الحزن حقا أن نظل نطالب حتى الآن بما تم حسمه في القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر في أوروبا لصلحة عملية التقدم الإنساني العالم، اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وصناعيا) (رضا، ١٩٩٩، ص٢٢٨).

ويخلص باحث آخر إلى القول بأن (السنة المفكرين العرب تتعاقق مع نتائج الدراسات الميدانية العربية لتؤكد أن المدرسة العربية مدرسة تسلطية في بنيتها ووظيفتها وأدوارها على مبدأ إيفان البيتش، الذي يرفض إمكانية أن تكون المدرسة مدرسة حرة في مجتمع عبودي لا ينطلق من مبدأ الحرية) (وظفة، ٢٠٠٠، ص٦١).

### تعليل

تعد المدرسة بناءً وأخطر مصادر السلطة في بناء شخصية الإنسان، لكونها تغذي العقل بالعلم والمعرفة، وتهذب السلوك، ولأن الفرد يقضي فيها عشرين سنة أو أكثر من أهم مراحل حياته (الطفولة والمراهقة والشباب) ولأنها أداة الدولة والمجتمع في التطور والحضارة، والقناة التي يتم من خلالها تشكيل أو تكوين العقل العربي. غير أن البحوث الميدانية والدراسات النظرية رسمت لنا

### نعيم عبد مهلهل

يخرجونه في الانتظار في البرد القارس وسط شرك من الخامسة صباحا وانتم وصلتكم في الواحدة ظهراً، يقول محسن الخفاجي: ان هذا بالنسبة له عذاب.
يقطع في الجملات معدومة من المعتقلين لأن أغلبهم بعمر اولاده لو كان متزوجا الآن، وإن ثقافتهم ونمط حياتهم وتفكيرهم بعيد عنه، لذلك انزل عن الجميع، قال: ان الطغعم جيد، والسبح متوفر)، وأنهم ينامون دافئين في خيم كبيرة. (في أوقات ما تصل الجرائد وأغلبها من الخليج، وأنه صدفة قرأ نصا لي في جريدة الصباح).

سألناه كثيرا، لكنه كان غامضا في الكثير من الإجابات، وبدأت عليه آثار التعب النفسي والجسدي، وقد غرّت الحفاقة جسده والسحوب عينيه. كنا نتكلم معه ونيكي، نقلنا إليه تحيات ادياء الناصرية، واداءه العراق، وقد عرف ان جهوداً تبذل من قبل الشاعر عبد الحميد الصالح للاتصال (بمجلس الحكم بئسانه)، ويقال ان اتحاد الأدباء في بغداد تحرك بهذا

وصاياء ادياء الناصرية، وبدأ لي انه يائس من ان الزيارة، غطت دونموسنا كتف محسن وهي تودعه، بقي صامدا لم تتحرك عيناه بدعمة ولكني كنت أرى قلبه ينزف دما.
ويصاحبه مدد على رمال فلوريدا، وكان صوت الأغنية يقول:

(ن تغيب عينك عني أبداً
وفي هنا في القباب
انما هنا في النبيذ...
ثم في عناق السرير
ورواء الضيaban
حيث لعنت شرطيا من أحلك...)

بمرح وهو يقود العجلة، خلجت النساء وأشحن بعيون حزينة صوب كثنبان الرمل في أفق لا ينتهي إلا عند ارتفاعات الفياء العلاقة، لكنه لم يكتف، لأن ثقافته الكنسية علمته ان يتصرف بحرية ودون اكترآت بشعور الآخرين ما دامت رغبته لا تتعدى على رغبة أحد.

دخلنا العسكر، انزلونا لنا مجند مصري اسمائنا، ثم ادخلونا في خيمة واسعة مفروشة بالرمل وليس فيها سوى مصاطب الخشب، كنا خمسين زائراً لاثني عشر معتقلاً، بعد دقائق دخل المعتقلون، كل يقش عن أهله، وحين دخل محسن الخفاجي الذي لم يتوقع زيارتنا، لم تطلق المفاجأة بين شفيته أي كلمة ترحيب بل قال: هل جليتم سكاثر؟ كنا نبيكي زياتنا، وركي وجواد.. محسن لم يعرف الكلام يوماً ما. كانت رفته تتساكس الدمع في كل يومه حتى عندما توفيت والدته التي يهيم بها حياً ولكنه كتب إليها مرثية ساحرة.. تعجب وقال: لا تبكون؟ قلنا: مكاكك ليس هنا؟ قال: الأقدار جبرمها تصنعنا المفارقات، وأنا هنا مفارقة.

(ياسر عبد الصاحب البراك) وهي تحدثت عن هذه المفارقة ونشرها في جريدة الفرات

بعنوان: (من اهم الصحاف ام محسن الخفاجي) ان الأمر مضحك.
جلستا مع محسن الخفاجي سألناه عن حاله. قال: انا الوحيد من الناصرية، بين هذه الحشود، قلنا وجريمتمك. قال لا اعرف بالضبط!
لقد كان لأسلتنا إجابات أخرى لم يتلوها، ولكن في حقيقة الأمر: ان الذي يعرف محسن يدرك ان ما يحدث له الآن شيء لا يستحقه. تضايق من أنه لا يقرا، وأن آخر تحقيق في كتاب منذ أربعة أشهر، وأنه وقع على ورقة لا يطلب فيها تعويض حين يطلق سراحه، وبرغم هذا هم لم يطلقوا سراحه منذ أكثر من عام ولم توجه إليه أية تهمة محددة.. ثم قال انه تمنى لم نزره. لأن المعتقل الذي لديه زيارة